

ترقب عربي وهستيريا ضي إسرائيل

رب منها وفيها؟

2

لم يترك المرشد الأعلى، علي خامنئي، أي التباس في موقفه؛ أعلن أن المعركة مع «الولايات المتحدة العالمية» المتجسدة في الولايات المتحدة سوف تستمر. غير أن تفاعلات الاتفاق الإيراني - الأميركي، لا يمكن أن تبقى أسيرة المواقف المبدئية. لقد خلقت، بالاتفاق، عملية سياسية أهم من الاتفاق نفسه، بل تتجاوزها إلى مرحلة جديدة من التفاهات حول جملة من المسائل الاقتصادية والاستراتيجية والجيوسياسية.

اقتصادياً، سوف يختبر الأميركيون، الآن، إمكانات الشراكة مع إيران التي ستهدد عليها، عمّا قريب، ثروة سائلة ضخمة، في ظروف الأزمة المالية العالمية، ما يمنح طهران قدرة استثنائية على التدخل في الأسواق، خصوصاً أن المليارات الإيرانية، المستندة إلى بنية إنتاجية قومية، هي مضاعفة التائر، عدة مرات، عن البترودولارات التي تملكها دول نفطية ذات اقتصادات هشة. السؤال الأميركي الأول، محل الاختبار، هو هل سيواصل الإيرانيون تعزيز علاقاتهم الاقتصادية مع روسيا والصين ودول البريكس، أم سيتحولون إلى الاندماج في المنظومة الأميركية؟ سيكون ذلك، بالأساس، موضع صراع داخلي في الجمهورية الإسلامية التي تلمح فئات اجتماعية وازنة فيها إلى الذهاب غرباً. بلا شك، سيشعر الإيرانيون، تواءم في مبادلات تجارية واسعة مع الولايات المتحدة، لكن التبادل التجاري شيء والتوجه الاقتصادي شيء آخر. هنا يحضر الخيار الاستراتيجي؛ ففي السياق نفسه، هل تواصل طهران أندفاعها نحو الانضمام إلى منظمة شنغهاي الدفاعية، أم ستفضّل الثاني والحياد والبحث عن دور خاص، يكفل استقلالها، ويخرجها من

إطار المحاور العالمية؟ الخيار المعلن للمرشد الأعلى واضح الاتجاه نحو الاصطفاء ضد المحور الأميركي. لكن كيف ستتضافر العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، داخل إيران، وفي ما بين إيران والولايات المتحدة والغرب؟ هذا ما لا يمكن التنبؤ به حالياً.

في الحالتين، اكتسبت الجمهورية الإسلامية وضع القوة الإقليمية الحاكمة في الصراعات الجيوسياسية المحتدمة في منطقتنا؛ أعني أنه سواء أكان خيار الإيرانيين نحو الشرق أم نحو الغرب، فقد حصلوا على الاعتراف بمكانتهم المحورية في ملفات سوريا ولبنان والعراق واليمن، بل في كل ما له علاقة بالصراعات الجيوسياسية بأشكالها الحدودية والأمنية والمذهبية إلخ. الجوهر، هنا، هو الاعتراف الصريح بالدور الإيراني في محاربة الإرهاب. وللتذكير، فقد ورد ذلك الاعتراف في نص الاتفاق، من خلال استثناء الأسلحة والمعدات اللازمة لمكافحة التنظيمات الإرهابية من الحظر المفروض على إيران، في مجال استيراد المعدات العسكرية وتصديرها.

بالنسبة إلى روسيا، المعنية بتشكيل تحالف دولي - إقليمي، يحدّد الخلافات السياسية لصلحة مواجهة الإرهاب، أصبح الاتفاق على الملف النووي الإيراني منطلقاً للشروع في تنفيذ مبادرة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، القائلة بتحالف المتحاربين ضد الوحش الذي يهدد الجميع. الآن، يمكن أن تكون إيران، بقدراتها وفعاليتها وشبكة تحالفاتها، محور مكافحة الإرهاب في المنطقة، في سياق سياسي يسمح بتفاهم روسي أميركي أوسع نطاقاً، ويخفض مستوى التنافس على الشريك الإيراني.

3

هكذا، إذًا، انفتحت عملية سياسية - معقدة وشائكة وربما طويلة. ولكنها فاعلة بين الأميركيين والإيرانيين، للتفاهم على ملفات هي، جميعها، فيها غائب، إلا في سياقات الانتحار الذاتي.

ليس ثمة مؤامرة ولا خطة تمدد إيراني، بل هناك فراغ وجنون ومصالح صغيرة في العالم العربي. وهو ما سيحكم التفاهات الأميركية الإيرانية، في غياب الفاعلين المعنيين. هل ستواصل السعودية - وقطر - السياسات المرتبطة بما يُسمى السنّة السياسية أو المشروع السنّي - الذي يحول الكتلة العربية الأساسية

ليس ثمة مؤامرة ولا خطة تمدد إيراني، بل هناك فراغ وجنون ومصالح صغيرة في العالم العربي

هل ترى السعودية - تحديداً - المشهد، أم أنها تصرّ على الانتحار؟

من كتلة قومية إلى كتلة طائفية. هذا المشروع، كما يدل واقع الصراعات القائمة، عاجز عن استقطاب أي قوة ذات وزن سوى التنظيمات التكفيرية الإرهابية.

هل ستستمر الرياض والدوحة في دعم تلك التنظيمات في سوريا والعراق واليمن؟ هل يستمر هذا الجنون إلى المزيد والمزيد من تحطيم الكيان العربي، وتحويل المنطقة العربية إلى موضوع لتفاهات القوى الدولية والإقليمية؟

بالتناحر العراقي - العراقي، لا يبقى، موضوعاً، من أفق في العراق، سوى تفاهم إيراني - أميركي، يمكنه أن

يؤدي إلى استقرار هش، ولكنه لن يؤدي إلى خلق اليات إعادة بناء الدولة الوطنية، المشروطة بالوحدة والاستقلال.

مع إيران الصاعدة، سياسياً واقتصادياً، تواصل السعودية الانتحار الذاتي في عدوانها الوحشي على اليمن. في النهاية، لا تملك الرياض القدرة على اعتراض حل دولي للقضية اليمنية، أصبح متاحاً الآن.

في سوريا، الملف الأكثر تعقيداً، لارتباطه بملف الصراع مع إسرائيل، سيكون هنالك احتمالان، أولهما تفاهم إيراني أميركي يلجم السعودية وقطر وتركيا، وثانيهما تصاعد المساعدات الاقتصادية والدفاعية الإيرانية لدمشق، بما يسمح لها بالحسم. في الاحتمالين، سوف يزداد النفوذ الإيراني في سوريا. وهناك الكثيرون، من السوريين وأنصارهم في البلدان العربية، من يجدون هذا الخيار وجيهاً ومفيداً من كل النواحي السياسية والاقتصادية والدفاعية.

فماذا يبقى من العالم العربي؟ السعودية المتورطة في حرب مدمرة والمهددة بالخلافة الداعشية والأزمة المالية، أم مصر، «أم الدنيا» التي يضربها الإرهابيون في عمق أمنها، وما تزال تترنح تحت أعباء مازق ديموغرافية واقتصادية وإدارية؟

4

إنها المرحلة الإيرانية، تخلف، وراءها، المرحلة السعودية السوداء المستمرة منذ أواسط السبعينيات. بدأت بتخريب مصر ثم العراق ثم سوريا، ودفع الفلسطينيين واللبنانيين، على هامش مشروع التدمير ذاك، اثماً باهظة، هي، مع كل ما فيها من عذابات، تبدو اعتيادية مقارنة بالكوارث التي حلّت بالعراقيين والسوريين واللبيين واليمنيين.

المرحلة الإيرانية... نعم. وهي خلاصة التنامي الاستثنائي في القدرات القومية للجمهورية الإسلامية، وتلاشي مرحلة القطب الواحد وصعود روسيا والبريكس، وضمود سوريا في مواجهة تحالف عدواني شرس شمل القوى الامبريالية والرجعية العربية والعثمانية.

ليس أمام العرب، على اختلاف توجهاتهم السياسية، إلا المبادرة إلى اكتشاف صبغ التعايش معها، والإفادة منها؛ أولاً، لجهة ضرب الإرهاب، وثانياً، لجهة إعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية، وثالثاً، لجهة إعادة الإعمار والبناء التنموي، ورابعاً، لجهة إقامة نظام إقليمي أكثر عقلانية ودينامية.

ولكن، لتعظيم إيجابيات المرحلة الإيرانية وتخفيض سلبياتها، بالنسبة إلى العالم العربي، هناك شروط أساسية، هي الآتية:

أولاً، الوقف الفوري للعدوان، المتعدد الأشكال، على سوريا، والتفاهم مع حكومتها الشرعية لدعم جهودها في مكافحة الإرهاب وإعادة البناء.

ثانياً، سحب ما يسمى المشروع السنّي، القائم على التحريض المذهبي والتقرّب من إسرائيل على حساب إيران، لمصلحة إعادة بناء النظام العربي بالتفاهم بين ركائزه التقليدية، سوريا ومصر والسعودية. وهو ما سيخلق مظلة للتفاعل الإيجابي التعاوني مع صعود القوة الإيرانية، والإفادة منها لإعادة تعريف إسرائيل باعتبارها العدو المشترك، وللتوصل إلى حلول سياسية وطنية في العراق واليمن ولبنان وليبيا والجزير.

هذا هو البديل العقلاني الوحيد للحفاظ على المصالح الجماعية للقوى العربية المتصارعة؛ هل ترى السعودية - تحديداً - المشهد، أم أنها تصرّ على الانتحار؟

روحاني: صفحة جديدة في تاريخ المنطقة

مشهد لم تعرفه إيران
إلا عند تأهل منتخبها
الوطني لنهائيات كأس
العالم (أ ف ب)



اتفاق وفقاً لمصالحنا الوطنية». واختار روحاني، في سياق آخر، التطرق إلى العلاقات الإيرانية مع دول الجوار خلال المرحلة المقبلة. وفيما أكد أن «صفحة جديدة فتحت في تاريخ المنطقة، مبنية على أساس الحوار»، شدد على أن أمن إيران ودول المنطقة «مشترك دائماً»، داعياً دول الجوار إلى عدم الخضوع للدعاية الصهيونية. وقبل الخطاب الرسمي، كتب روحاني على موقع «تويتر» أن «أفاقاً جديدة ترسم اليوم بعد حل هذه الأزمة التي لم تكن ضرورية»، مضيفاً أنه «يمكن الآن التركيز على التحديات المشتركة (مع الغرب)». وفي خطابه المتلفز الذي تلى خطاب الرئيس الأميركي باراك أوباما، ذكر روحاني بأنه أعلن، منذ أداء القسم الرئاسي، أن الغرب يستطيع التعامل معنا إذا نبذ أسلوب الإذلال، مؤكداً أن المفاوضات لم تركز على أساس «موجدون في ما يخص القضايا الوطنية، وعلى رأسها التقنية النووية».

(الأخبار، أ ف ب)

شهدت شوارع طهران، طيلة يوم أمس، احتفالات بالاتفاق النووي بين إيران والسداسية الدولية، حيث احتشد الإيرانيون والiranianيات للتعبير عن فرحتهم بما يعتبرونه انتصاراً لبلدهم وشعبهم، خصوصاً لجهة رفع العقوبات وإنهاء العزلة الدولية التي دامت لعقود. وفي ما شبّهه البعض بمشاهد عرفتها إيران فقط عند تأهل منتخبها الوطني لنهائيات كأس العالم لكرة القدم، رقص الشباب والشابات في الشوارع حيث دوت موسيقى صاخبة، وأطلقت أبواق السيارات، في حين رفع المواطنون علم بلادهم وصور الرئيس حسن روحاني هاتفين بشعارات النصر.

في هذا الوقت، أكد الرئيس روحاني أن إيران «حققت أهدافها الكاملة» في هذا الاتفاق، في خطاب «تاريخي» أعقب التوصل إلى الاتفاق النهائي في فيينا. وعزّر روحاني يوم أمس عن «سعادته بالتوصل إلى مرحلة جديدة مع الغرب»، مؤكداً أن المفاوضات كانت عبارة عن «حوار جاد للتوصل إلى

اتفاق وفقاً لمصالحنا الوطنية». واختار روحاني، في سياق آخر، التطرق إلى العلاقات الإيرانية مع دول الجوار خلال المرحلة المقبلة. وفيما أكد أن «صفحة جديدة فتحت في تاريخ المنطقة، مبنية على أساس الحوار»، شدد على أن أمن إيران ودول المنطقة «مشترك دائماً»، داعياً دول الجوار إلى عدم الخضوع للدعاية الصهيونية. وقبل الخطاب الرسمي، كتب روحاني على موقع «تويتر» أن «أفاقاً جديدة ترسم اليوم بعد حل هذه الأزمة التي لم تكن ضرورية»، مضيفاً أنه «يمكن الآن التركيز على التحديات المشتركة (مع الغرب)». وفي خطابه المتلفز الذي تلى خطاب الرئيس الأميركي باراك أوباما، ذكر روحاني بأنه أعلن، منذ أداء القسم الرئاسي، أن الغرب يستطيع التعامل معنا إذا نبذ أسلوب الإذلال، مؤكداً أن المفاوضات لم تركز على أساس «موجدون في ما يخص القضايا الوطنية، وعلى رأسها التقنية النووية».